

نقوش ثمودية من سكاكا

(تأليف سليمان بن عبدالرحمن الذبيب)

صدر هذا الكتاب القيم لمؤلفه الباحث الأثري سليمان بن عبدالرحمن الذبيب ضمن مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية سنة ٢٠٠٢ م .

وهو دراسة علمية تحليلية لمجموعة من النقوش الشمالية «التمودية» وجدت في ثلاثة مواقع إلى الجنوب من مدينة سكاكا السعودية ، هي : قاع فريجة ، والطوير ، والقدير .

تقع هذه الدراسة في ٢٠٧ صفحات من القطع المتوسط ، وتتكون من مقدمة وفصلين وعدد من الملاحق والصور ، واللوحات والرسومات ، بالإضافة إلى قائمة المصادر والمراجع .

ويشير المؤلف الذبيب في المقدمة إلى أهمية منطقة الجوف السعودية بما تحويه من ثروات أثرية ضخمة من الكتابات العربية التي تنتشر في مناطقها ، ومن بينها المواقع الثلاثة المذكورة .

والفصل الأول من هذا الكتاب مقارنة أولية في عالم تلك النقوش ، وصف من خلالها المؤلف أشكالها وخطوطها ورسومها ، وما تحويه من معلومات إيضاحية تعطي القارئ بعض التصورات العامة عن مجتمع الجوف التمودي ، حيث بيّن الذبيب في هذا

عرض
الأستاذ :
أحمد
الحسين*

* ماجستير الأدب
العربي - دراسات
أدبية من جامعة
حلب ١٩٨٣ م .
- عضو اتحاد
الكتاب العرب
في دمشق .
- يعمل الآن مدير
الثقافة
بالحسكة -
سوريا .

ربيع الأول ١٤٢٤هـ / مايو ٢٠٠٣ م
جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ / أغسطس ٢٠٠٣ م

الطبعة

السنة السادسة

العددان : الحادي والعشرون والثاني والعشرون

٤٣٦

الفصل أن دراسته تتناول تحليل / ١٠٩ / نقوش كتابية ، منها ٣٤ نقشاً ثمودياً من قاع فريجة ، و ٣٤ نقشاً ثمودياً آخر من موقع الطوير ، و ٤١ نقشاً ثمودياً من موقع القدير .

أهمية الدراسة :

وقد كشفت دراسة الذيبب التحليلية أن زمن كتابة هذه النقوش يرجع إلى حقبتين من تاريخ الحضارة الثمودية هما :

- الحقبة الثمودية المتوسطة ، وتشمل القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد .
- الحقبة الثمودية المتأخرة ، وتشمل القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الثالث الميلادي .

كما أظهرت هذه الدراسة استمرار الاستيطان البشري للقبائل الثمودية في الحقبتين المتوسطة والمتأخرة في منطقة الجوف التي شهدت كما يبدو استقراراً سياسياً واقتصادياً ، دفع القبائل الثمودية للهجرة من منطقة حائل والاستقرار في الجوف .

والأهم من ذلك أن هذه النقوش التي جاءت على شكل تذكارات فردية استطاعت أن تعطينا تصورات مقبولة عن طبيعة المجتمع الثمودي ، وعلاقات أفراده الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والدينية ، حيث تبين أن مجتمع الجوف الثمودي عرف الزراعة والاستقرار الزراعي ، إلى جانب الرعي والاهتمام بتربية الإبل والمواشي ، وامتهان بعض أفراده التجارة وخفارة القوافل في الصحراء :

ومن خلال النصوص المنقوشة ثمة إشارات إلى بعض التصورات الدينية للثموديين ، الذين عرفنا من آلهتهم : أشر ، رض ، ود ، اللات ، إذ كانوا يتوجهون إليها بالدعاء ، ويقدمون لها القرابين والصدقات ، طلباً للصحة والعافية والسلامة .

كما تكشف نقوش سكاكا عن أهمية العلاقات الاجتماعية القائمة بين الأسر والأفراد ، وتشير إلى بعض المفاهيم الاجتماعية المعبرة عن صلات الأفراد وعلاقاتهم بالبيئة المحيطة بهم ، وما تثيره من ظروف ونوازع الارتحال ومشاعر الشوق والحنين إلى الأهل والأصدقاء وأرض الوطن .

ويمكن القول : إن تلك الكتابات نقلت إلينا أسماء بعض القبائل التمودية التي طواها النسيان ، وأسماء عدد من المواقع والمواقع .

ويمكن الاستنتاج من خلال محتوى تلك النقوش أن المرأة التمودية نالت مكانة اجتماعية محترمة ، إذ نقلت إلينا خمسة نقوش لنساء ثموديات كاتبات بعضاً من مشاعر المرأة وعواطفها نحو الرجل الذي كان هو الآخر يكن لها المشاعر والعواطف ذاتها .

أشكال النقوش وخطوطها :

وحين يتحدث المؤلف عن أشكال النقوش وخطوطها يذكر أن تلك الكتابات نقشت على الصخور بأدوات بدائية ، وبالتالي فإن شكل الصخرة ، وحجمها ، وسطحها ، والعوامل الطبيعية المؤثرة فيها ، بالإضافة إلى تدخلات الإنسان ، أثرت في وضوح الكتابة ، ودقة حروفها ، وإتقان رسومها ورموزها .

ومن خلال المعاينة تبين أن النصوص المنقوشة تكتب داخل أطر متعددة الأشكال، أكثرها استعمالاً هما الشكلاّن : الأسطواني والدائري . وغالباً ما يضيف إليها الكاتب خطوطاً سحرية، أو عبارات دعائية، تحذر من الإساءة إليها، أو العبث بها .

ويبيّن الباحث الذيب أن الكاتب التمودي استعمل عدة أشكال من الخطوط

الكتابية وهي بشكل عام :

- الخط المستقيم الأفقي وتقرأ بعض نصوصه من اليمين إلى اليسار ، كما يقرأ بعضها الآخر من اليسار إلى اليمين .
- الخط المنحني المائل : ويقرأ كذلك من اليمين إلى اليسار وأحياناً من اليسار إلى اليمين .
- الخط العمودي : وتقرأ بعض نصوصه من الأعلى إلى الأسفل وبالعكس أحياناً .
- الخط المتعرج أو الزقزاق .

ويلاحظ المؤلف أن الكاتب الثمودي يبدأ كتابة الجملة أو النص ، بحرف اللام أو الباء ، ويعنيان «بواسطة» وبعض الكتابات تبدأ بالاسم المفرد ، أو بمصطلح تحيات، أو تحيات لـ ، كما أن قسماً آخر يبدأ بحرف العطف مع اسم إشارة ، أو بحرف العطف الواو مع ضمير رفع منفصل للمتكلم .

تحليل الأسماء ودلالاتها :

تضم نقوش المواقع الثلاثة ١٥٢ اسماً ، منها ٤٦ اسماً ترد ، كما يقول المؤلف للمرة الأولى .

ومن الطريف أن المؤلف في تحليله لتلك الأسماء يثبت أن مفردات الأسماء وأوزانها ودلالاتها هي ذاتها ، كما عرفها العرب لاحقاً ، وكما نعرفها اليوم ، فالأسماء التي وردت في نصوص سكاكا جاءت وفق الصيغ الصرفية والنحوية السائدة في اللغة وهي :

- صيغة العلم المفرد مثل سلمان ، وهدة ، ناصر ، غالب ، حبّاب ، سطم ، مسلمة محارب ، مفيد ، مالك ، عبادة ، أكتب ، معتب .
- الصيغة المركبة ، أو المختصرة مثل : هبة الإله ، عبدالإله ، فرق شتت ، شمسي «شمس .ي.» .

وتتطلق اشتقاقات الأسماء ودلالاتها من اعتبارات لا تزال متداولة في الذاكرة الشعبية ، إذ يدل بعضها على صفات جسمية مثل : شل «المعوج الأعصم» وضناك : السمين ، وكنع «قصر اليدين والرجلين» وعرج «الأعرج» وجرشع «عظيم الصدر» وبعضها مأخوذ من أسماء حيوانات وحشرات البيئة مثل : عقرب ، نمس ، جَعَل ، في حين أن بعضها الآخر يدل على هيئة أو مناسبة أو مهنة ، أو عنصر من عناصر البيئة مثل : بكر ، حجر ، رحيق ، نادل ، كاتب ، أو يدل على صفات توحى بمعاني القسوة والشدة ، واللين ، والتمني ، والرجاء .

تصنيف محتويات النقوش :

ويوضح المؤلف أن النقوش الثمودية ، موضوع دراسته ، تتكون في بنيتها من عبارات موجزة لا تتجاوز بضع كلمات أو جمل في أغلب الأحيان ، ويمكن تقسيمها من حيث مضمون تلك العبارة إلى عدة أقسام هي :

- **نصوص دعائية** : يتوجه فيها الكاتب إلى الآلهة بالدعاء طلباً للصحة والعافية والسلامة ، أو يذكر من خلالها ما قام به من تقديم قربانين وأضحيات لها ، كما يعبر عن ذلك مضمون النقش ١٠١ ، (بواسطة حمي ابن سمي واشتاق لسعدة ، ويا أشر «آلهة السلامة») .

- **نصوص تذكارية** : وتمثل أكثر النصوص السابقة ، وتبدأ بكلمات من نمط : تحيات ، تحيات لـ ، حيث يذكر اسم العلم المخصوص بها ، ومن ذلك ما جاء في النقشين / ٦٣ و ١٠٦ / (تحيات لحمد ، وتحيات لداسل ، وأنا رحيق ، تحيات لنبيلة وأنا مالك) .

- **نصوص الاشتياق** : وتحمل الفعل اشتاق ، ويكون ذلك لصديق ، أو للأهل ، أو للأرض ، كما في النقش / ١٠٨ / : (بواسطة عليان بن بدال واشتاق إلى جرشع بن تيم) .

- **نصوص الحزن** : وتتضمن الفعل وجم أي حزن ، ودواعي ذلك الحزن الفراق

والارتحال أو الموت . وهذا ما تجلّى في النقش / ٧٧ / ومحتواه : (بواسطة أمة بن ثيديره، وحزن على محارب وعلى محبوب ، وعلى آل أمه كلهم، وسلاماً من الإلهة رض).
- **نصوص الحب :** وتدل على علاقة الرجل والمرأة ، وتعبّر عن عواطفهما المشتركة
كما عبّر عنها النقش / ٩١ / (بواسطة ربكة واشتافت لأمه) .

الرسوم والأشكال :

وتحتوي النقوش الثمودية إلى جانب العبارات المكتوبة عدداً من الرسوم والأشكال والرموز ، ويلاحظ أن الرسوم بشكل عام بسيطة وغير متقنة ، وهي تمثل رسوماً آدمية ، لفرسان يمتطون خيولاً ، أو مشاهد لمواكب الرحيل ، والصيد ، ورسوماً لأشخاص في هيئات متعددة ، وهناك أيضاً رسوم حيوانية وحشرات ، وأكثرها حضوراً صورة الجمل ، والناقة والنعام والوعول ، والكلاب والحمير والعقارب ، بالإضافة إلى بعض الأدوات كالرماح ، والدروع ، وقرص الشمس .. إلخ ، وبعض الأشكال المستمدة من البيئة ومظاهر الطبيعة .

منهجية تحليل النقوش :

ويُعدّ الفصل الثاني من هذا الكتاب زبدة البحث ، وخميرة الدراسة التحليلية . ومن خلاله تجلت ثقافة الباحث ، وسعة اطلاعه ، وخبرته وقدرته على التحليل والمقارنة ، والاستنتاج .

وتقوم منهجية الذيب في تحليل مادة النقوش على تثبيت أبجدية الكلمات ، وتوضيح طريقة القراءة وكيفيةها ، وزمن الكتابة ، ومظهر النقش ، والرسومات التي تحيط به ، ثم عرض مفردات النص ، وبنيتها اللغوية والكتابية ، بالاعتماد على المقارنات والموازنات حول اللفظ والمعنى والخط ، بين الثمودية وأسرة اللغات السامية ، كالصفوية واللحيانية ، والسبئية ، والمعينية ، والآرامية ، والحضرية ،

والتدمرية ، والأوجاريتية ، والحبشية ، والعربية ، والنقوش السامية الأخرى .
وهو يستعين في تثبيت قراءة النصوص ، واستخلاص معاني المفردات
بالاعتماد على تلك اللغات ، وما دونته المعاجم العربية ، ويسترشد أحياناً بقراءات
بعض الباحثين الآخرين من علماء آثار غربيين وعرب .
ولتوضيح جوانب منهجية الباحث الذيبس نقتبس مقطعاً مما ورد في تحليله
لمضمون النقش ٧٢ نوره بنصه كما يلي :

ل س ك ن و ت ش و ق ال س ط م

بواسطة ساكن الذي اشتاق إلى سَطَّام

كتب هذا النقش العائد للحقبة الثمودية المتأخرة ، بأسلوب الخط المستقيم ،
ويقرأ أيضاً من اليمين إلى اليسار ، والقراءة المعطاة أعلاه جيدة .
- فيما عدا العلم الأخير «سَطَّام» ، الذي قد يقرأ : «س ح م» نظراً للتشابه الكبير
بين شكل حرفي الطاء والحاء في الثمودية ، والعلم «س ح م» ورد في النقوش
الصفوية ، ويمكن مقارنته بالعلم سحيم الذي ورد في الموروث العربي ، وقد فسره
ابن دريد ، بمعنى الأسود .

- س ك ن : علم بسيط على وزن فاعل : يعني المطمئن ، الساكن ، المستقر ، ورد في
النقوش الثمودية ، والليمانية ، والأوجاريتية ، بينما ورد بصيغة «س ك ن م» في
النقوش القتبانية والأمورية ، وبصيغة «س ك ن ي» في التدمرية ، وبصيغة «س ك
ن ي ت ن» في النقوش الفينيقية ... إلخ .

- س ط م : علم بسيط على وزن فعَّال : «يعني حد السيف ، والسطم والسطام هو
حد السيف» .

خاتمة واستنتاجات :

ولا بد من التنويه في هذا الجانب بعد عرض دراسة الباحث سليمان بن عبدالرحمن الذبيب بأهمية هذا الجهد الذي بذله ، والذي يكتمل من خلال جهوده البحثية والأثرية المتعلقة بدراسة النقوش الآرامية والنبطية في بعض مواقع شبه الجزيرة العربية ، التي شهدت انبعاث واندثار العديد من المجتمعات والحضارات العربية القديمة ، والتي لا يزال الغموض يكتنف معرفتنا بها ، ويظل تاريخها ضرباً من التكهّنات والمرويات الشعبية .

ولعل مما يضيف على هذا البحث أهميته، ويعطيه قيمته العلمية، ما أضافه الباحث من رسومات للنقوش المدروسة مع الصور الفوتوغرافية لكل نص، وما ألحقه ببحثه من فهارس لأسماء الأعلام والقبائل ، والأماكن ، والآلهة التي وردت في هذه المجموعة من النقوش .

ونود أن نشير هنا أن ثمة صعوبات اعترضت جهد الباحث في قراءة تلك النصوص وتحليلها ، وهي صعوبات موضوعية ، بعضها ناتج عن أثر العوامل الطبيعية والبشرية المؤثرة في تشويه تلك الكتابات ، وبعضها الآخر ناشئ عن تطور الأبجدية الثمودية ، وتشابه كتابة بعض حروفها ، وما يتركه ذلك من اختلاف في قراءة بعض المفردات .

وعلى الرغم من ذلك فقد بذل المؤلف قدراً كبيراً من الجهد العلمي، في تدليل تلك الصعوبات، وتمكن من تصويب بعض القراءات السابقة، معترفاً في الوقت ذاته، وبكل ما تمليه موضوعية البحث، وأمانة الباحث وتواضعه، أن بعض القراءات التي أثبتتها، قد لا تكون دقيقة أو مؤكدة للأسباب الموضوعية السابقة، وأحسب أن ذلك كان في حالات قليلة ومحدودة، نأمل أن تتجاوزها الدراسات اللغوية والمكتشفات الأثرية المستقبلية.